المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 24-02-2006 العـــدد : 12202
الصفحـات : 37 المسلسل : 197

حدث في الصميم

المصـــــدر : الجزيرة

التـــاريخ : 24-02-2006 العـــدد : 12202

الصفحـات : 37 المسلسل : 197

ما هو الحدث الذي سأتحدث عنه وأطرز به أسطري في هذا الصباح..؟

هل أتحدث عن آخر تقليعة في عالم الأزياء والموضة أم أتحدث عن آخر ما وقعت عليه عيناي من ثقافات الشعوب المختلفة..؟

لقد قرأت أن آخر صيحة في عالم الوشم أن يكون في واحدة من الأذنين فتحة كبيرة يعلق فيها كأس زجاجي تقرط لها..

(خبر مثيرٌ أليس كذلك..؟!!)

أترائي أتحدث عنه..؟

أم هل أتحدث عن طوارة دعوى المساكنة التي قامت على ترويجها بعض القنوات الغربية الفكر العربية الأصل من خلال أبواق تنادي وتنفخ في رأس ستار زمانه الطوزاني الذي تحدى جميع منافسيه من الدول العربية وأطاح بهم ببطولة لا متناهية من خلال بعض الرقصات الفرعونية وقليل من الغناء العندليبي ليضحي اسمه وشما في قلوب المراهقات اللاتي فعل بهن حبه الأفاعيل..؟

أم ترائي سأرتفع عن السفاسف قليلا وأتطهر منها لأعتلي القمم وأخرج من عنق الزجاجة لأسبح في مجال أكبر وأكتب بحرية أكثر وأدلي بدلوي في العالم المغمى عليه..؟ أترائي فاعلة..؟

أترائي أتحدث عن الشعب الأمريكي شعب السلام الديموقراطي الذي رفرفت في ربوعه شعارات الحرية وحقوق الإنسان لتثير الغبار في أعيننا وتنفث الدخان في أجوائنا حتى لتكاد تتنفس بالاختناق..؟

أم ترائي متحدثة عن إسرائيل تلك العذراء المظلومة التي قبض عنها الكرم الفلسطيني يده ولم يرض بتسليمها أراضيه وبلغت به الوقاحة أن تجرأ في رفضه حتى شرعت ابنة عمنا السامية المسكينة في أخذ حقها المسلوب بالقوة متشحة بشعار البادئ أظلم..

وهي التي ومنذ أن تمت ولادة أول شبر لها في أراضينا بعد مخاض عسير لم تكف عن النواح والنعيق والعويل لحقوق الإنسان وسيدة العدالة الكبرى تشتكي أن صغيرها أضحى كبيرا ولم يعد يكفيه أن يتوسد حفنة من أشبار هذه الأرض...

أضف إلى ذلك أن الزيتون في تلك البقعة قد نفد ولا بد من إعانة عاجلة قبل أن يموت وليدها وتتحول التعيسة إلى ثكلى..

لقد قرأت في جزيرتي قبل أيام أنه قد قدم مشروع للكونغرس الأمريكي يفرض على الأجهزة الرسمية الأمريكية وينص على أن أي إساءة للساسية العفيفة وقذف لشرفها بالقول أو الفعل يعد جرما يعاقب عليه القانون ويلاحق صاحبه سواء كان فردا أو دولة من قبل مؤسسات وأجهزة مخصصة لهذه المهمة ويدخل ضمن ذلك الخلافات والاجتهادات الفكرية فمن غير المسموح للمفكرين والمؤرخين الاقتراب منها إذا كان اليهود الأفاضل طرفا فيها إليك أخي القارئ (محرقة اليهود) على سبيل المثال فتلك المحرقة التي يتهم النازي باركتابها إبان حكم ادولف هتلر قد منعت مناقشة صحتها، والتشكيك بها، ومن يفعل ذلك فالويل له والتشهير له والطرد مصيره والعقبى له فلن تقبل به أي مؤسسة أكاديمية وستغلق في وجهه مراكز البحث ويكتب للقمة عيشة الفئاء كي يذري علمه الأدبي مع أول هبة الريح..

قصة ثرية مثيرة مليئة بالحب والرومانسية هي قصة الشابة (إسرائيل) و(زورو) سيف العدالة الأمريكية أليس كذلك..؟؟

هل ترائي أصف أحرفي لتدوين فصولها المتجددة أم ترائي أعرج على بغدادنا بغداد الهوى التي أضحى بساطها الطاهر مرتعا للعب النعاج مع الذئاب وحلبة للمصارعة الحرة التي اجتمع فيها مصاصو الدماء ومرقوو الأشلاء.. مسببين الشتات والكرب.. عاشقين الأرض الخراب.. كل يفرد عضلاته معلنا جبروته من جهته.. ليكسب البطولة في النهائي الأخير.. ويصبح البطل المبجل والأسطورة.. على حساب كرامة أمة قد تخلت من فئة العالم الثالث..

هل أتجاهل النيجر وأغض الطرف عن شعبها الذي بلغ به الإسراف في العتو أن سلب معشر النمل حقوقه وقاسمه في حبوبه في قعر جحوره..

هل أتحدث عن ذلك الشعب الذي مات أبناؤه ولم يلتحفوا يوما غطاء.. ولم يتذوقوا حتى وجبة عشاء.. هل أتحدث عن الإعلام كيف تناسى قضية ذلك الشعب وغيبها عن صفحة الحوادث ليضعها في صفحة آخر أخبار النوادر..؟!!

كيف أتناساه وكأنهم شعب لم تشرق عليهم يوما شمس.. ولم يوجدوا على ظهر هذه القانية..

أم ترائي أحيد عن الطريق.. وأتحدث عن ذلك المجرم الحر الطليق.. الذي يجوب الأرجاء.. بغرور وخيلاء.. وقد كان كاتبا مغمورا فأضحى بين عشية وضحاها منه ولا أشهر.. ذلك الكاتب.. الذي كان أول من غرس بذور الفتنة.. وأدار رحى الحرب..

ذلك الكاتب.. الذي ضاق ذرعا بشعبه الذي لم يعد يقرأ حروفه ويلتفت إلى روايته الملمة فطفق يبحث عن وسيلة مهما بلغت بها السفالة والرذالة ليعيد الرؤوس إلى وجهتها القديمة وهو يكرر بأسلوب ممجوج أن (الغاية مبرر شرعي لدناءة الوسيلة)، أتراكم عرفتموه..؟؟

نعم، إنه ذلك الكاتب الدنماركي الذي طلب من الرسام المكلف بصفحة الغلاف أن يضع صورة لمحمد نبي المسلمين على غلاف قصته الجديدة لتصبح حكاية العام ويصبح بها البطل الجريء المغوار.. إلا أن ذلك الرسام جابهه بالرفض القاطع.. فما كان من هذا المسكين إلا أن يفكر في طريقة أخرى أكثر إثارة للجدل وتفتح مجالا أوسع للشهرة فعكف يبحث ويفكر في كل السبل الممكنة مهما كانت دناءتها.. فالدناءة هي وبلا أدنى شك السبيل الأسرع للشهرة في عالم المنتكسات هذا.. حتى اهتدى صاحبنا الفقير أخيرا إلى حل فأطلق لقدميه العنان إلى أراضي تلك الصحيفة اليمينية المتطرفة (جيلاندز بوست) وطرح مسابقة أحسن رسم كاريكاتوري لمحمد نبي الأمة الأكثر إثارة للشغب.. ثم أتحدث عن الحكومة التي لم تحرك ساكنا بل رفضت الاعتذار بحجة قانون (الحرية في التعبير).. ليصبح الصعلوك بطلا ويتحقق له ما صبت إليه نفسه على حساب كرامة مليار وثلاثمائة مليون من فئة العالم المتخلف..

ما زلت أطرح السؤال.. هل ترائي أخيرا ستستطيع أن أصف حروفي هنا لأناقش هذا الحدث بل هذه الجريمة النكراء وهي التي ألجمت قلمي قبل عدة أيام فأوقفت كرمه الحاتمي عني الذي طالما اعتدت عليه فعلّقته في غمده المخملي حتى أبى الخروج مغية أن يتبخر ما في جعبته من حبر متأثرا بقرائد شعري الساخنة..

حسنا.. نظرا لطبيعتي البواحة التي لن تهدأ حتى تشق القربة وتسكب جل الماء لا تبقي منه ولا تذر ولاستشعاري عظم الجرم وحاجته الملحة إلى نقاش أكبر من بضعة أسطر في رسالة جوال أو مقال صغير لا يكاد يرى بالعين المجردة في صحفنا اليومية، سأرسو أخيرا هنا عند الحدث الدنماركي وسأمتشق قلمي الحسام من غمده بقوة وسأحاول الكتابة.. للأسف ما زال قلمي مستعصيا وما زلت معه في حرب أصفها سجال.. مرة يمدني وأخرى ينقص في المكيال.. إلا أنه بالتأكيد ليس الملام.. فخير الصاعقة هنا أثار كل قرائحي وفجرها جملة واحدة.. لا أعلم من أين أبدأ.. ولا أين أقف حتى.. فهناك الكثير لأكتب عنه.. وهناك الكثير لأقف عنده.. ولا أستطيع أن أذكر البعض وأكفر بالباقي.. فهذا قانوني الكتابي...

باسم الله الكريم سأبدأ

الوقفة الأولى: لماذا يا شعب الكلام..؟!

أول سؤال تبادر إلى ذهني وبالتأكيد أنه قد وجد طريقه سريعا إلى أدمغة الآخرين وقت سماع صوت الصاعقة، الخبر الفاجعة، المصيبة النازلة.. إن شئت التسمية.. المهم كان السؤال لماذا فعل الدنماركيون بنا هكذا ونحن شعب مسالم لم يطلهم منا سوء أو إهانة.. لم نعط العالم سوى الإهانة.. نسرع يوما للإغاثة.. سلبت منا أراضينا قسرا.. قدسنا بغدادنا اغتصبت من أيادينا ظلما وقهرا..

قلم نسل السيوف لم نذبحهم في مجازر..

لم نعتد على نسائهم، لم ننهد الحوائر..

لم نهددهم بالمقابر كلما قعدنا

أن صففنا الحروف لندور في المحافر

وبعض الصغير من الدوائر.. جمعنا الصفوف واعتلينا المنابر تحدثنا وشجبنا ثم عدنا كالعقيم العاقر.. لم نحرك يوما ساكن

هنا توقفت فلقد وجدت إجابة لسؤالي الحائر..

عرفت أننا السبب الأول في هذا الحدث العظيم في حق النبي الطاهر الكريم.. الذي أصابنا في مقتل.. واخترق منا الصميم.. فلو كان لنا مثقال ذرة من وجود لما حدث ما حدث.. ولما تجرأ علينا السفهاء باللغو والفسوق والرفث.. وحسبي ما ذكرته أعلى مقالي عن الشابة إسرائيل وعن شجاعتها في المطالبة بحفظ عرضها من القذف والتشهير وجعله جرما دوليا لا تحمد خاتمته.. وهي رأس الحربة.. وكيف استجاب لها العالم الديموقراطي بعدالته المعهودة عنه في مثل هذه المواقف.. آواه منك يا هذا الزمن الذي يبكي الظالم فيه يشتكي عجزه عن ممارسة الظلم.. فيلتف حوله العالم ليربت على كتفه.. ويشد على يده أن اصطبر وقاوم.. وأجسادنا الطاهرة لك فيها إن شئت سآوم.. وارتشف شهد أراضينا ودع لنا علقما على احتسائه جزما نداوم..

ومن يهن يسهل الهوان
عليه ما لجرح بميت إيلام

الوقفة الثانية: لن أكون جاحدة

أعترف قرائي الأفاضل أنّ ساختةً هي وقفتي

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 24-02-2006 العـــدد : 12202
الصفحـات : 37 المسلسل : 197

الأولى وشديدة الوطء بعض الشيء..

قد أكون جددت بعض المواقف.. وتنكرت للكثير.. وأسدلت الطرف عن بعض منها عظيم.. إلا أنه في واقعنا الحالي وأوضاعه المشاهدة من الاعتداءات والتجاوزات والانتهاكات الجريئة المعلنة ما تنحسر عنه كل جهودنا معلنة التخاذل والصغار مهما كانت..

فمعذرة إن كانت حروفي شديدة الاتقاد فاعمت أبصاركم.. أو إن كانت كلماتي صدوية الانفجار قصمت آذانكم.. فما اعتمر بداخلي كان أقوى من أن يقف عند الحدود التي رسمتها لبراعي أزلا..

الوقفة الثالثة: ورب ضارة نافعة

في هذه الأيام التي اعتاد فيها موج حياتنا على سفن القراصنة وسارقي الدر والمرجان من بطوننا وعلى أكلي أسماكنا وسالبي الثروات..

في هذه الأيام التي أصبحت فيها المصائب روتيناً اعتدنا عليه.. كان هذا الحدث بمثابة الزلزال الذي أماج البحر الراكد.. وأثار طاقاته.. وأخرج أثقاله.. ليحدث عن أخباره.. والظلم الذي مؤخرا جرى له.. ورب ضارة نافعة..

فمنذ أن صعقت بالخبر ما فتئ هاتفي النقال يصدر ذلك الصوت مرحبا بقدوم رسالة إما مشجعة للمقاطعة.. أو داعية عليهم بعظيم النازلة.. أو مبشرة بانتفاضة ناشطة.. لتدلج الحق وتنير للعالم حتى السماء السابعة.. ولله الحمد.. وطن من القاول أخيرا تربع في داخلي وأرسى ثوابته..

فهاهو الغيم أخيرا قد انحسر..

والضوء يقوة قد تجلى وظهر..

وهاهم الكثيرون من رجالات أمتي المعطاءة قد انتفضوا.. ولنصرة الحق القويم عكفوا وذابوا.. ومثل ما صرحت بالعتاب في يراعي السابق.. ومن باب العدالة في الطرح.. سيكون هناك بطاقات شكر وإعجاب وفيض من إكبار لمن استحقها بجدارة كل تُفرد له بطاقته على حده..

البطاقة الأولى: إلى حامي حمى الحرمين ووليه سلطان الخير

أيها الأفاضل يظل سجاح حروفي متراخيا صغيرا أمام عظيم صنيعكم يا من دأبتم على نصرة المسلمين وبينهم الحرام ومد يد العون لهم أنى استدعت الحاجة فلا يستطيع الوفاء بكل مفردات الشكر التي تليق بمقامكم لمبادرتكم الرائدة في استدعاء سفير السعودية من الدنمارك ليكون ذلك مثابة التهديد الذي يلقي الروع في قلوبهم ويعلمهم أين يكون المنتهى لحدودهم..

إلا أن مدادي يبقى مترقباً متلهفاً لحامي الجزيرة وواعيها مليكنا المفدى وسلطاننا الذي ما فتئت أياديهما تنبض بالخير وتمطر الغوث أنى حلت واللذين تخجل حروفي المتواضعة أن تسطر مآثرهما مغبة التقصير في طرحها.. نبقى متلهفين دوماً لما سيفعلانه أيضاً رداً لاعتبارنا ورواء لعطشنا الذي بات يقرح الحناجر فلطالما عهدناهما بلسماً شافياً يطيب الجراح ولطالما كانا من يسدل الستار معلنين خاتمة الأتراح وموقعين نهايتها..

البطاقة الثانية: شركة العثيم والتجارة الرابحة

عبر هذه البطاقة الصغيرة سأوجه حروف شكري إلى شركة العثيم العملاقة في فعالها التي ما فتئت تنصر الحق بدءا بدعم انتفاضة الأقصى وانتهاء بالخير الذي رواني كما تروي شربة لماء البارد العطشان الظمأ في يوم زمهرير..

فلقد كانت أول من أعلن الحرب بشجاعة في عالم التجارة حيث رتبت حملة لمقاطعة استيراد المنتجات الدنماركية جاعلة شعارها (نحن وما نملك فداء للرسول).. لتلحق بركبها شركة السحان لتعقبهم البقية فاقول لها ولربانها الأستاذ: عبدالله العثيم.. هنيئا لكم بهذه الخطوة المباركة فلقد اخترتم طريق الآخرة واشتريتم عرضها بهذه الفانية وهذه وربي التجارة الرابحة..

البطاقة الثالثة: أيها المهدي

لله درك.. جريئة هي تلك الخطوة التي قمت بها.. رائعة.. والأولى من نوعها.. فلله درك..

ما أنت.. لم تتغير آمالنا بك ولم تخب يوما.. وأنا إذ أكتب لك في هذه البطاقة فإني وجميع القراء نشد على يدك وندعمك بسهام الليل أن لنصرة الحق واصل.. ثبتك الله وأعانك عليه أينما كنت وأينما كان.. أخي يقول الرسول المصطفى: (لا تحاسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فهو يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت مثل ما يفعل ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه فيقول لو أوتيت مثل ما أوتي لعملت مثل ما عمل)، فوالله إني أحسبك ذلك الرجل المحسود بحق.. المغبوط بين الخلق.. فلا تتراجع ولا تتوانى..

البطاقة الرابعة: وصافحت المجد الثريا

بينما كانت القنوات خلف حفلات الرقص تلهث ولإثارة الفضائح والفتن تحث الخطى سريعة بدون تفكير في مدى واقعيتها أو عظيم آثارها برغ نور قناة المجد ليصافح الثريا في شموخ ويعلن أن النحور لك فداء يا رسول الله فاقدت لتشجيع الحملة الساعات الطوال عليا تثير البراكين الخامدة فتعلن الانفجار في وجه هذا العداء الحقير.. فلله درك من منبر للحق فعال وصوتا رشيقا يطرب الآذان..

الوقفة الرابعة: وأزهرت بشائر النصر

مع ارتشافي لكوب من قهوة هذا الصباح الساخنة قرأت خبراً في بريدي يثلج الصدر وإليكم نصه: قدم سفير جمهورية التروينج لدى المملكة السيد بان بوجيه مارت اعتذار حكومة وشعب بلاده لعموم المسلمين في العالم بشأن الرسوم المسيئة لشخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم التي نشرتها صحيفة نرويجية.

الوقفة الخامسة: حذار من الغرور

صحيح إنها رائعة يا شعبي الكريم هي هذه الأخبار ومبشرة بطيب الثمار إلا أننا لا نريد أن يأخذنا بأنفسنا الغرور.. ونعود لسياسة التراجع والفتور.. فما زال العالم من حولنا يغشاه الغيم وتكثر فيه الفطور.. وما زلنا بحاجة إلى ما هو أكبر فما حدث لا يستهان به والتحدي الذي صاحبه لا يحقر أبداً.. فلا نريد أن نكون لقمة يستسيغ مضغها ويستلذ بطعمها الجميع بعد الآن..

لا نريد أن نعود تماثيل أو لعب أطفال .. دُحَرِكُ ذات اليمين وذات اليسار بأسطين أيادينا بالوسيط..